

مَسَارَاتُ الْقُرَاءِ فِي شُرُوحِ دِيْوَانِ أَبِي نُوَّاسٍ - قِرَاءَةٌ نَقْدِيَّةٌ

A Critical Study of Annotations in Abi- Nuas's Poems

Dr. Hazza Abbas Ali
Assistant Professor
University of Sulaymaniyah
/ College of Languages
Dr. Ramadan Mahmood
Kareem
Assistant Professor
Garmian University/
College of Education
Dr. Hussein Imran
Mohammad
Assistant Professor
Garmian University/
College of Education

د. هَازَه عَبَّاس عَلِيّ
أستاذ مساعد
جامعة السليمانية / كلية اللغات
د. رَمَضَانَ مَحْمُود كَرِيم
أستاذ مساعد
جامعة كرميان / كلية التربية
د. حُسَيْنِ عِمْرَانَ مُحَمَّد
أستاذ مساعد
جامعة كرميان / كلية التربية

Hazha.ali@univsul.edu.iq

ramadhan.mahmood@garmian.edu.krd

Hussein.imran@garmian.edu.krd

تاريخ القبول

٢٠٢٢/١٠/١٦

تاريخ الاستلام

٢٠٢٢/١٠/٢

الكلمات المفتاحية: مسارات، القراء، أبي نواس، القراءة المعجمية

Keywords: Paths, readers, Abu Nawas, dictionary reading

المُلخَص

تسعى هذه الدراسة إلى إخضاع شروح ديوان أبي نواس إلى التحليل اللغوي والتأويلي، وما ينطوي عليهما من آليات لشرح المعاني وفهمها، وأنماط تأويل النصوص في النسيج الشعري النواصي التي تعكس قدرات الشّارح القرآنية في التصدي لمنن أدبي اتسم بالعالمية ابداعاً وقراءة، وتلك السّمة هي واحدة من محركات انتقاء هذه الشّروح للبحث والمعالجة . أما المسوغ الآخر لاصطفاء هذا العنوان فهو بيان المنظورات المختلفة لعملية الشّرح وتسليط الضوء على موجّهات الشّراح من عرب ومستشرقين ومرجعياتهم المختلفة . توزعت مادة هذه الدراسة على محورين، هما :

الأول-القراءة اللغوية، وفيها سلط الضوء على : ١-القراءة المعجمية وتناولت هذه القراءة ما يأتي أ-الاقتصار على كشف معاني الدوال. ب- المواضع والأمكنة . ت-معاني الأسماء والمشاهير ث-تعزيد القراءة المعجمية بالشعر . ٢-القراءة التركيبية، ومن تجلياتها، أ- الحذف . ب-التخفيف . ث-النداء .

الآخر- القراءة التأويلية، وفيها تناول البحث : أ-قصدية المؤلف (الشاعر) ب-تعددية دلالات النص . وظّف البحث في المعالجة والتحليل المنهج الوصفي والتحليلي وانتهى بجملة من النتائج و أعقب بعد ذلك مبسرد للهوامش ثم ملخصاً باللغة الانكليزية وختمت الدراسة بلائحة للمصادر والمراجع .

Abstract

This study tries to examine Abi-Nuas's collection of poems throughout linguistic and hermeneutic analysis accompanied by what effects the meaning tools and their comprehending, and patterns of texts interpretation in the poetic texture of Abi-Nuas which reflects the interpreter's capabilities to face a literary text that characterized universally by creativity and readability in which contributed to snatch this explanatory annotations for the study. However, the other justified excuse to select this topic is to display the different perspectives of explanation process and shed lights on interpreters' directives from Arabs and Orientalists and their different discipline backgrounds. **Thus**, the study is divided in to two sections:

First: Linguistic Reading which shows: **1.** Lexical reading that discusses **A)** Uncovering the semantic meaning of functions **B)** topics and settings, **C)** The meaning of names and well-known people, and **D)** strengthening the Lexical reading via poetry. **2.** Synthetic reading and it's manifestations including **a-** Deletion **b-** mitigation **c-** Addressing. **The Other section:** The Interpretive Reading, in which the study shares **A)** The Author's (the poet) intentionality **B)** The multiple meaning of the texts connotations.

To tackle the topic, the study adopts the descriptive and analytical methods, and it ends up with a set of results followed by a glossary of the indexes, and an English abstract provided. Finally, the list of sources and references take the last pages of the study.

مدخل : أهمية شروح دواوين الشعراء

من سمات الكتابة الشعرية الغموض والتعقيد بمستوياتها المختلفة إلى جانب العامل الزمني واختلاف اللهجات وتنوع البيئات وتباين الثقافات وأثر كل ذلك في البنية والدلالة فظهرت الحاجة إلى الشرح لتحقيق عددٍ من الوظائف منها التفسيرية والتأويلية والتواصلية والشعرية والجمالية والإجناسية والمرجعية والتعبيرية وغيرها ثم تحولت هذه الشروح إلى متون مهمة تعكس أساليب الشراح في التلقي وعلامة تكشف عن المسار التاريخي والمعرفي لهم . وأظهر الكم الضخم من مدونات الشروح عناية مؤلفيها بالدراسات اللغوية ، وغدت هذه الشروح وليست مادتها مثار اهتمام الباحثين لما تتضمنها من مستويات مختلفة ومتعددة ومنها المستوى الاجرائي الذي يتجلى فيه كشف اسلوب معالجة المادة الشعرية وصولاً إلى فهم القصد . والمستوى التطبيقي الذي يقدم نهجاً في التحليل اللغوي والأدبي في بعض الاحيان، والمستوى التنظيري إذ يتبين عن طريقه صياغة لقواعد التفسير والتأويل والأهداف المرتبطة بهما^(١).

(١) قراءة التفسير والتأويل، د.ناصر حلاوي، مجلة الأستاذ، كلية التربية - ابن رشد، جامعة بغداد، ٦، ١٩٩٥

المحور الأول : القراءة اللغوية

من أبرز مسارات شُراح ديوان أبي نواس هيمنة النسق اللغوي بمستوياته المتنوعة على شرحهم للنص الشعري، وهي قراءات تتفاوت في درجة التلقي في اطار ثنائية السطحية والعمق واتخذت القراءة اللغوية السلم الآتي :

١- القراءة المعجمية : تعد هذه القراءة ركناً أساسياً من أركان النشاط القرائي للشُراح ؛ لأن الألفاظ وما فيها من خصوصية يتجلى فيها اسلوب الشاعر أو التعبير عن بيئته أو قدرته على انتهاك المعجم إلى جانب التطرق إلى دلالاتها النصية وقيمتها الجمالية التي اكتسبتها من السياق^(١). واتخذت هذه القراءة أساليب متنوعة عند الشُراح منها أ-الاقتصار على كشف معاني الدوال، وهذا منهج شائع عند شُراح ديوان أبي نواس إذ يقتصر عمل الشُراح على بيان الكلمات الغامضة، مستغنياً عن الدلالة العامة الناتجة من علاقة الالفاظ مع بعضها في سياقها التركيبي، ومن نماذج قول الغزالي وهو بصدد شرح بيت أبي نواس : (من البسيط)

قَامَتْ بِإِبْرِيْقَهَا، وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ فَلَاحَ مِنْ وَجْهَهَا فِي الْبَيْتِ لِأَلَاءِ

اقتصر أحمد عبدالمجيد الغزالي بالقول " معتكّر : مظلم . لألاء : بريق " ^(٢). الدالان تبيينان عناية الشُراح بالثنائية الضدية بين مظلم وبريق، والترجيح يستند إلى انتقاء الشُراح لهذين اللفظين. أما الدكتور بهجت عبدالغفور الحديثي في سياق تحقيقه وشرحه لقول لأبي نواس في رثاء خلف الأحمر : (الرجز)

لَوْ كَانَ حَيٌّ وَإِنَّمَا مِنَ التَّلْفِ لَوَأَلْتُ شَعْوَاءَ فِي أَعْلَى شَعْفِ

فقد اكتفى بقوله : " وإنَّمَا : ناجياً . ووَأَلْتُ : نجت . والشَعْوَاء : العقاب . أصل الشَعْوَاء : عطف المنار الأعلى على الأسفل . والشَعْف : رأس الجبل "^(٣).

نرى استغناء الشُراح عن الدلالة العامة للبيت والاقتصار على شرح معاني الكلمات، متغاضياً كغيره من الشُراح أنّ الشعر تركيبٌ وبناء، وإنّ الألفاظ تنتشظى دلالاتها بفعل السياق التأليفي الداخلة فيه . ومثلهما فعل عليّ فاعور وهو يفسر البيت الآتي : (من الكامل)

يَا غَارِساً بِبَيْمِينِهِ شَجْرَ الْحِفَافِ عَلَى السَّبَاخِ

(١) ينظر : النص الأدبي تحليله وبنائه مدخل اجرائي، د.إبراهيم خليل، الجامعة الأردنية، كلية الآداب، ط١، ١٩٩٥ : ٢١٩.

(٢) ديوان أبي نواس الحسن بن هاني، أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان : ٦.

(٣) ديوان أبي نواس برواية الصّولي، الدكتور بهجت عبدالغفور الحديثي، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٨٠ : ٩٦١.

إذ قال : " السَّبَاخ، الواحدة السبخة : الأرض المالحة " (١). اقتصر الشَّارح على المعنى المتداول حسب في زمن إنتاج النص وإلى يومنا هذا، ولم يشر إلى السَّبَاخ الجديد للكلمة في البنية اللغوية للبيت الشعري، وما يحتمله من مقاصد مجازية في سياقها المقامي واللغوي .

ب-المواضع والأماكن، اكتظ في شعر أبي نواس ذكر أسماء الأماكن من مدن وأديرة وحنات موزعة على الرقعة الجغرافية التي زارها الشاعر أو مرَّ بها . وبلا زيب أن تلك المواضع نتيجة للفواصل الزمني الطويل بين المتلقي ومنتج النص قد طرأت عليها تغييراً في أسمائها أو تبديلاً لعنواناتها، ومن ثم اقتضى ان يُعرّف تلك الأماكن التي شكّلت مناطق مبهما للمتلقى فكان من استراتيجيات الشَّارح كشف الغموض عنها وتوضيحها، وهو ما فعله الشَّارح على العسيلي عند الوقوف على قول أبي نواس : (من الطويل التام المقبوض)

تَشَبَّيْتُ الْخَضْرَاءَ بَعْدَ مَشْيِبِهَا وَلَمْ تَكُ إِلَّا بِالْأَمِينِ تَشَبَّبُ

قال العسيلي : " الخضراء : موضع باليمامة " (٢). مع أن العسيلي قد حدد الخضراء في اليمامة، وهو معنى ليسهل على القارئ الرجوع إلى المصادر الجغرافية والتاريخية، لكنه لم يحدد الموضع على نحو دقيق ؛ لأنَّ اليمامة اقليم كبير " وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام، وهي معدودة من نجد وقاعدتها حَجْر " (٣).

في السَّبَاخ نفسه قام محمد أنيس مهرات في شرحه لقول أبي نواس : (من الطويل)

مَسَارْحُهَا الْغَرْبِيُّ مِنْ نَهْرِ صَرْصَرٍ فَطَّرِبِلٌ فَالصَالِحِيَّةُ فَالْعَقْرُ

قائلاً : " الغربيّ : الشاطئ الغربي لدجلة . صرصر وقطربل والصالحية والعقر : أماكن اشتهرت بالخمير " (٤). إن قول الشارح " الشاطئ الغربي لدجلة " قد أزال عند القارئ بعض الغموض الذي اكتنف لفظ الغربي، وهذا البيان سهل على القارئ قصد الشاعر وهو أنَّ هذه المواقع الشهيرة - الصرصر وقطربل و الصالحية والعقر - تقع إلى الغربي من نهر دجلة . بينما يزيد الحديثي من درجة وضوح صرصر بقوله : " ونهر صرصر : هو نهر عيسى سمي نهر صرصر إلى قريتين على ضفته هما : صرصر العليا، وصرصر السفلى " (٥).

وعن قول أبي نواس : (من الطويل)

(١) ديوان أبي نواس، الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م :

١٤٨.

(٢) ديوان أبي نواس، شرحه علي العسيلي، مؤسسة الأعلمي للطبوعات، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٣١هـ -

٢٠١٠م : ٧٠.

(٣) معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر بيروت، ١٣٧٩هـ - ١٩٧٧م : ٥ / ٤٢٢.

(٤) ديوان أبي نواس، شرح وتحقيق محمد أنيس مهرات، دار مهرات للعلوم، حمص - سورية، ط ١، ٢٠٠٩

: ٣٠.

(٥) ديوانه، الحديثي : ١٥٥.

مما نَجَدَتْ بالماءِ حتَّى رأيتها مع الشمسِ في عيني أباغ تَغُورُ

قال غريغور شولز : " وعين أباغ ليست بعين ماء إنما هو وادٍ وراء الأنبار على طريق الفرات"^(١). كشف الشَّارح لنا أن معنى موضع " عين أباغ"، ورفع الإشكال الذي يتسلل إلى فهم القارئ، إذ نفى أولاً أن يكون هذا الموضع عين ماء، ثم أبان شكل الظاهرة الطبيعية وموقعها وهو قوله : " وهو وادٍ وراء الأنبار وتجاوز ذلك إلى تحديد الاتجاه واطهار المسار بقوله : " على طريق الفرات " . هذه القراءة المعجمية أنارت للمتلقي منطقة الإبهام في بيت أبي نواس .

ت-معاني الأسماء والمشاهير، ذكر أبو نواس في شعره الكثير من الأشخاص والأعلام وأفضى هذا التراكم للأعيان إلى عناية الشَّارحين بها، ولتصير القراءة المعجمية موجهة من موجهاتهم من أجل اعانة القارئ على ردم الفجوات والكشف عن قصد الشَّاعر، ونرى ذلك في شرح الغزالي لقول أبي نواس : (من المنسرح)

عمروٌ وقيسٌ والاشترانُ وزبيدُ الخيلِ أسدٌ لدى ملاعبها

قال : " عمرو بن معديكرب الزبيدي وقيس بن مكشوح من مراد والأشتران مالك بن الحرث النخعي الشَّاعر وابنه إبراهيم وزيد الخيل بن المهلهل النبهاني وجميعهم من قحطان "^(٢). قد أفصح الشَّارح عن نسب هذه الأسماء الخمسة المذكورة، وهذا الإفصاح شمل ذكر الاسم الثنائي واللقب و العشيرة كالاتي : عمرو بن معديكرب من عشيرة الزبيد وقيس بن مكشوح من مراد ومالك بن الحرث وابنه من نخع وكلاهما يلقبان بالأشتر وأخيراً زيد بن مهلهل الملقب بزبد الخيل وهو من عشيرة النبهان، ثم ذكر أن قحطان هو الجد الأعلى والمشارك لهذه القبائل . وبخصوص قول أبي نواس : (من البسيط)

لاتيكِ ليلي ولا تطربِ إلى هندٍ واشربِ على الوردِ حمراء كالوردِ

قال الأستاذ علي فاعور " ليلي وهند : من عرائس الشعر الجاهلي "^(٣). بهذا البيان أزال الاختلاط الذي قد يسري إلى ذهن السامع متصوراً أن ليلي وهند إسماء اناث لحبيبات أو عشيقات . وفي سياق ذاته لشرح بيت أبي نواس : (من المتقارب)

أُحْبِبُّ القَلْبَ ضِدَّ اسْمِهَا أَرْقُ وَأَضْفِي مِنَ الجَوْهَرِ
تَخَفَ الخِلافَةُ فِي عَيْنِهَا وَرَبَّ السَّرِيرِ مَعَ المنْبَرِ
وَقَدْ مَلَكْتُ بِالجمالِ الأَنامِ وَرَقَّ الأميرُ أباي الأَزهَرِ

(١) ديوان أبي نواس، تحقيق غريغور شولز، دار المدى، ط ١، جمعية المستشرقين الألمانية، سورية - دمشق،

٢٠٠٢ : ١ / ٢٣٣.

(٢) ديوانه، الغزالي : ٥٠٨.

(٣) ديوانه، علي فاعور : ١٤٩.

قال عليّ العسيليّ أبو الأزهر هو " زهير بن المسيب صاحب الشرطة في الخلافة العباسيّة"^(١). هذه اللغة الواصفة من الشّارح تبين أن العامل الزمنيّ كقيل بتشكيل موانع بين النصّ وقارئه ؛ لأنّ التركيب اللغوي المتألف من اللقب الدال على السلطة وهو قوله " الأمير " مع الكنية " أبي الأزهر " في زمن نظم المقطوعة الدال على واحد من كبار شخصيات الدولة العباسيّة لم يكن بحاجة إلى تعريف، لكن بعد هذا الفاصل الزمنيّ الطويل انزاح اسمه إلى منطقة الأبهام والتعمية فجاءت القراءة المعجمية للتعريف بتلك الشّخصية التي طواها الزمن .

ث-تعزيز القراءة المعجمية بالشّعر، من آليات الشّارحين لتقوية شروحهم لشعر أبي نواس الركون إلى النصوص الشّعريّة واتخاذها دليلاً من أجل دعم جهده التفسيريّ وتحقيق غاياته، ومن نماذج هذا النمط من القراءة المعجمية في اطار شرح قول أبي نواس : (من الرجز)

يا أيُّها العاذلُ دع ملحاتيّ والوصفَ للمؤامةِ والفلاةِ

قال الغزاليّ : " المؤامة : الفلاة لا ماء بها، قال : تأبط شراً:

يظل بمؤامة، ويمسى غيرها جحيشاً، ويعرورى ظهور المالك

الجحيش : المنفرد . يعرورى : يركب "^(٢). تتجلى في هذه القراءة المعجمية النسق المغلق والمقصود به أن الشّارح انطلق من شرح مفردة غامضة - واعني المؤامة- ثم عضّد شرحه ببيت شعريّ لكن البيت كان بحاجة إلى شرح في دالين من دواله فبدأ بتفسير كلمة وانتهى بها، ومن أمثلة تاييد المعنى بالنص الشعريّ في المتن الشّرحية ما نقله إيفالد فاغندر لشرح مخطوطة الصولي من نسخة مكتبة كوبريلي باستانبول لبيت أبي نواس : (من الكامل)

ترمي فتقصد من له قصدت جَمّ المراحِ دريرة السهم

قال : " دريرة اي يدور كما يدور السهم في الرمية و دريرٌ يعني مدرور، دريرةٌ من قوله : دريرٌ كخزروف الوليد أمره تتابع كفيّه بخيط موصل "^(٣).

كان الدال " دريرة " للقارئ الفعليّ كابحاً لعملية التّواصل بين النصّ ومثليّته لذا عمل على توضيحه بقوله " دريرة : أي يدور ... " ثم اتكأ على نص شعريّ لإمرئ القيس بوصفه ذخيرة لغوية لتمتين حجته وتحديد قصد الشّاعر . وفي مقام اضاءة النصّ الشعريّ بوساطة النصوص الأدبية لبيت أبي نواس : (من الرجز)

يا رُبَّ غيثٍ آمن السُّرُوبِ حُبَارِيَاتٍ حافتيّ مَلْحُوبِ

بالقُطِيَّاتِ إلى الذُّنُوبِ يخطُرُن في برانس قُشُوبِ

(١) ديوانه العسيليّ : ٢٤٤.

(٢) ديوانه، الغزاليّ : ١٦٥.

(٣) ديوانه، إيفالد فاغندر : ٣ / ٢٢٦.

ذكر الحديثي : " فالقُطبيّات .. وملحوب والقطبيّات والذنوب أسماء مواضع في ديار بني أسد وردت في مطلع قصيدة عبيد بن الأبرص : (من البسيط)

أفقر من أهله ملحوبُ فالقُطبيّاتُ فالذُنوبُ "

نرى أن الاحتجاج بالشعر هو من آليات المستوى المعجمي عند شرح ديوان أبي نواس ؛ لأنّ الشعر مصدر مهم من مصادر الافصاح عن معاني الكلمات المستغلة، وهذا الاحتجاج شكّل ظاهرة ملموسة وكبيرة في مؤلفات شرح الديوان .

٢- القراءة التركيبية، حازت البنى التركيبية على اكثرث الشارحين لديوان أبي نواس بالتحليل والفحص، وبما أنّ اللغة هي استعمال كما قال فنغشتاين^(١). لأنها تجسّد من ناحية قدرة الشاعر في تجريب أنساق اللغة في بعده الحقيقي والمجازي، ومن ناحية أخرى تبرز الكفاءة اللغوية للشارح على المحور التأليفي . وفي ضوء ذلك سنعمد في هذا الاتجاه من المحور إلى استقراء الموجه التركيبي وتصنيف أنماطه وتحليل بنياته، ومن أبرز تجليات هذا المستوى من القراءة :

أ- الحذف، يعدّ أسلوب الحذف من أشهر الظواهر التي نالت عناية الشارحين، ولاسيما عند الغزالي، وتمثل جهد الشارحين في هذه السمة الأسلوبية بتحديد المحذوف أو تقديره بهدف انسجام دلالة البيت، ومن ذلك قول الغزالي شارحاً بيت أبي نواس : (من المخلع البسيط)

فأنعم بها قبل رائعاتٍ لا خمر فيها ولا خُمأ

" رائعات : مفزعات من راع. أفزع وهي صفةٌ لمحذوف مناسب للمعنى المراد تقديره ليالٍ أو منايا"^(٢).

إنّ الشارح بوصفه قارئاً ومستجيباً للنص النواصي يستشف من استجابته، وهو قارئ افتراضي مرسوم صورته في ذهن شارح^(٣). قراءة الغزالي انصبت على الصفة المذكورة - رائعات - والموصوف المحذوف في البيت هو " ليالٍ " أو " منايا " .

ومن نماذج القراءة التركيبية لظاهرة الحذف ما ذكره تعليفاً على قول الشاعر : (من المخلع البسيط)

فقال : ذنبٌ عزاي عنه ؟ فقلتُ : من أعظم الذنوب

(١) التداوليات علم استعمال اللغة : اعداد وتقديم د. حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ٢٠١١.

(٢) ديوانه، الغزالي : ٧٣.

(٣) ينظر شروح ديوان المتنبي دراسة نقدية في ضوء نظرية القراءة، رسالة ماجستير، توفيق بن أحمد القاهري، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، إشراف أ.د ناصر رشيد حلاوي، ١٤٢٠-١٩٩٩ : ١٠٦.

قال : : عزاي : عزائي وفي البيت استفهام استنكاري وأداة الاستفهام محذوفة ^(١) قوله " استفهام استنكاري " هو تشخيص تداولي لدلالة الاستفهام في سياق الكلام لكنه لم يحدد أداة الاستفهام المحذوفة، وهذا ما تكفل به شارح آخر هو محمد أنيس مهرات في قوله : " أراد : ماعزائي عن هذا الذنب ؟ أداة استفهام محذوفة ^(٢) .
ويصدد قول أبي نواس : (من المتقارب)

سَوَى رَجُلٍ ضَمْنِيهِ الطَّرِيقُ وَنَحْنُ ضُحَى نَقْصِدُ العَسْكَرَا

نقل إيفالد فاغنز الشرح الآتي من نسخة مكتبة إمبروزيانا بميلانو قائلاً : " أخطأ حيث حذف حرف الصفة وحقه ضمّي إليه أو معه فالضم لا يتعدى إلى مفعولين ^(٣) . نلمس جلياً ان القارئ قد اتخذ من المقياس النحوي موجهاً لتلقي هذا البيت من شعر أبي نواس . إنّ القراءة النحوية السالفة تكشف انتباه القراء لما يعترض النصوص الشعريّة من تجاوزات لغوية، ولم يقتصر القارئ على تشخيص الخلل تركيبياً بل اتسمت قراءته بالتعليل ووصف الصواب في التعبير، وهو قوله : " وحقه ضمّي إليه " كما أظهرت هذه القراءة صفة من صفات القارئ الذي دعا إليه ريفاتير لاحقاً من أن القارئ عليه أن يحوز كفاية لغوية إذ لامناص من فهم قصيدة ما من دونها^(٤) .

ب- التخفيف، شغل التخفيف في التكوينات النحوية لأبي نواس عند شرح ديوانه مساحة كبيرة ولاسيما عند الغزالي، ومن ذلك وهو بصدد قراءة البيت الآتي : (من الطويل)

فَأَمْسَكَ مَا فِي كَفِّهِ بِشِمَالِهِ وَأَوْمًا إِلَى السَّاقِي، لِيَسْقِي بِالْيَمْنِي

قال : " وأوما : خفف الهمزة ضرورة وأصلها أوما : أشار ^(٥) . وأغلب الموارد التي وقف عندها الشارح يعلل ظاهرة التخفيف بالضرورة . ويلمس إيفالد فاغنز حالة التخفيف في شرحه، ولاسيما عند قراءة البيت الآتي : (من البسيط التام)

إِنْ قَلَّتْ نَعْلًا فَمَا أَخْطَأَتْ صُورَتَهَا أَوْ قَلَّتْ مِرْوَحَةً كُنْتَ الَّذِي نَقَرَا

قال الشارح : " قوله كُنْتَ الَّذِي نَقَرَا أي كنت كمن نَقَرَ عن الحق أي طلب الحق وأصابه أي كان تشبيهك صواباً وكان حقه أن يقلل بالتشديد ولكنّه خففه ضرورة ^(٦) . انتبه الشارح لظاهرة ثنائية التشديد والتخفيف في قراءته واستدرك انزياح الشاعر عن الاستعمال الشائع والفصيح

(١) ديوانه، الحديثي : ٢٧٥ .

(٢) ديوانه، محمد أنيس مهرات : ١٢٠ .

(٣) ديوانه، إيفالد فاغنز : ٢ / ١٢٧ .

(٤) ينظر النظرية الأدبية المعاصرة، رمان سلدن، ترجمة: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،

بيروت، ط ١، ١٩٩٥ : ٤٧ .

(٥) ديوانه، الغزالي : ١١٩ .

(٦) ديوانه، إيفالد فاغنز : ٢ / ١٥١ .

من التشديد إلى التخفيف بالضرورة، لكن الشارح لم يظهر أن هذه الضرورة من المرخص بها أم لا في كل الأوقات، وحرى هنا الاستئناس بالنتيجة التي ذكرها د.رمضان عبدالنواب في معالجته الموضوع : " إلى التأكيد أنه لا صحة لما يتردد على ألسنة القوم من أن الضرورة الشعرية رخصة للشاعر يرتكبها متى أراد ؛ لأن معنى هذا الكلام أن الشاعر يُباح له عن عمد مخالفة المألوف من القواعد وهو ما يتعارض مع ما وصل إلينا من أخبار الشعراء في القديم"^(١).

ولم يغفل الحديثي عن رصد ظاهرة التخفيف، نظير قوله : (من المنسرح)

أحسن من وصف واصف العيس وصبره في الفلاة والبوس

قال : " البوس : البؤس، وخفف الهمزة من أجل الوزن "^(٢). يعلل الحديثي لجوء الشاعر إلى التخفيف اسلوبياً بالوزن وهذا الاستعمال يعد شائعاً ومتداولاً عند الشعراء .

ت-النداء، نالت البنيات الندائية في شعر أبي نواس قسطاً من عناية الشراح في متونهم المحققة والمشروحة لديوان الشاعر، وتباينت تلك الشروحات في البسط والايجاز من أجل رفع حجاب التلون السياقي للنداء، ويبرز ذلك في قول محمد أنيس مهرات وهو يشرح قول أبي نواس : (من السريع)

يا رجم الله الذي مسني منك بأوجاع وأوصاب

قال : " يا : أداة نداء، دخلت على الفعل للتنبيه وليست للنداء "^(٣). القراءة التركيبية للشارح بينت الخرق اللغوي للشاعر في توظيفه لأسلوب النداء وتمثل ذلك بدخول الأداة على الفعل وهذا الانزياح التركيبي نتجت عنه قصداً للمؤلف وهو التنبيه . فالقراءة اعتنت بالبنية والوظيفة معاً للكشف عن تفتيق الدلالات بوساطة الاتساع في الاستعمال.

ويصدد بيت نص أبي نواس : (من المنسرح)

قبت مثل المقيم مغترباً يدعو بوا ويلتا و وواحربا

قال علي فاعور : " واويلتاه وواحرباه، الواو للإستغائة والندبة، وهي في كلا الحالين حرف نداء "^(٤). سعت قراءة الشارح لهذا البيت إلى تسليط الضوء على بيانات البنية الندائية للغة الأدبية للشاعر، وتكمن ميزتها الأسلوبية في قيمتها التداولية ، وهي ابراز الدلالة السياقية لأداة النداء (وا) التي أفادت الاستغائة والندبة، ومن ثم فإن انزياح النداء إلى الاستغائة والندبة هي

(١) فصول في فقه اللغة العربية، د.رمضان عبدالنواب، مكتبة الخنجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧ : ١٦٣.

(٢) ديوانه، الحديثي : ١٦٥.

(٣) ديوانه، محمد أنيس مهرات : ١٠٦.

(٤) ديوانه، علي فاعور : ٣٧.

التي أثارت انتباه الشَّارح علي فاعور وعنايته وهو ما أعطى للنداء فريدة في هذا النص . ومن تجاوبات الشَّارح علي فاعور قوله بشأن النص الآتي لأبي نواس : (من المجتث)

عَزَّوْا أَخْلَاقِي قَلْبِي فَقَدْ أُصِيبْتُ بِلُبِّي

قال : " أخلاقي : الهمزة للنداء، والخلان واحدها الخليل : صاحب والصديق "(^١). نرى في هذه القراءة النحوية إنَّ نقطة الاتصال والتفاعل بين القارئ أو الشَّارح وبين النص قد تجسدت في حرف الهمزة، وانصب بيان الشَّارح على اضاءة دلالة الهمزة في السلسلة الكلامية وشخصها بالنداء، وهو جهد يزيل الغموض ويحدد هوية الهمزة واختلافها عن همزة الاستفهام التي قد تشكل منطقة ضبابية عند بعض القراء.

المحور الثاني - القراءة التأويلية

التأويل هو ضرورة من ضرورات اللغة، ومرحلة وجودية لها، ولا سيَّما في اللغة الأدبية . ويخضع التأويل للزمكنة في الفعل والاتجاه، وفي هذا السِّبَاق قال نصر حامد أبو زيد " إذا كانت كلمة تاويل تعني الرجوع إلى الأصل، وتعني أيضاً الوصول إلى الغاية والعاقبة، فإنَّ الذي يجمع بين الدالتين هو دلالة الصيغة الصرفية (تفعيل) على الحركة، وهي دلالة أغفلها اللغويون في تحليلهم المعجمي لذلك يمكن القول إنَّ التأويل حركة بالشيء أو الظاهرة إما باتجاه (الأصل) أو في اتجاه (الغاية) و (العاقبة)... لكن هذه الحركة ليست مادية بل هي حركة ذهنية عقلية في ادراك الظواهر "(^٢). والنشاط التأويلي ينتج عنه مستويات من الدلالة بفعل امكانات القارئ العقلية ورصيده المعرفي ومرجعياته المتنوعة، ومن ثمَّ فإنَّ دراسة هذا المحور سيتحدد بالآتي :

١-قصديّة المؤلف أو الشَّاعر، وتُعنى بالكشف عن القصد الذي يريده الكاتب أو على الدلالة الأحادية والأصلية للمؤلف . والمراد من التأويل هنا بوصفه وسيلة للوصول إلى قصد المتكلم ليس التأويل بمفهوم شليرماخر الذي يبحث بوساطة اللغة ودوالها عن مقاصد المتكلم أو المؤلف(^٣). وإتِّمَّ الرجوع إلى المرويات التاريخية التي تحمل اعتراف الشَّاعر وتصريحه عن قصده، أي السِّير والحركة من الشَّارح باتجاه مصدر القول ومنشئه، من ذلك ما نقله الحديثي بوصفه شارحاً بصدد قول أبي نواس : (من الكامل)

وَاحْتَازَهَا لَوْنٌ جَرَى فِي جِلْدِهَا يَقُقُّ كَقَرطاسِ الْوَلِيدِ هِجَانُ

(١) ديوانه، علي فاعور : ٦١.

(٢) مفهوم النص، نصر حامد أبو زيد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠ : ٢٣٠.

(٣) ينظر اشكالية القصديّة في الممارسة النقدية، بوزيد صابرية، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية، جامعة وهران، بإشراف أ.د. هواري بلقاسم، السنة الجامعية ٢٠٠٨-٢٠٠٩ : ٦٠.

قال : " حكي سُليمان بن نبيخت قال : سألتُ أبا نواس عن معنى هذا البيت، فقال عَنَيْتُ صحيفةَ الطفل لم يكتب عليه كتابه فيها شيئاً، فقرطاسه أبيض " (١). الرواية التاريخية تحمل قصد المؤلف لنصه وقد جاءت هذه الرواية في الهامش من صفحة شرح الديوان وهي إشارة إلى الشَّارح بوصفه قارئاً وموؤلاً يتكئ على قصد المؤلف في قراءته للنص النواصي، بل أنّ قراءته الخاصة في متن تحقيقه للنص المنوّه به لم تمح تأثره بقصد المؤلف، فالشارح يقدّم قراءتين لبيت أبي نواس وهو قوله : " وخصّ الوليد ؛ لأنّه لم يكتب عليه بعد، فقرطاسه أبيض، يريد صحيفة عمله. وقيل : إنّما الوليد ابن عبد الملك بن مروان ؛ لأنّه أول من استجد القرطيس وأطالها " (٢). إنّ الركون إلى قصدية المؤلف يكشف عن استراتيجية من استراتيجيات الشَّارح المستندة إلى أنّ : " تسلسل الكلمات لا يعني شيئاً إلاّ إذا أراد الشخص أن يعني بها شيئاً أو يفهم منها شيئاً " (٣).

إنّ عملية قراءة المؤلف لجزء خاص من عمله بناءً على تساؤل موجه له من أحد القراء المعاصرين لشعره، تُبين أهمية دور المؤلف في القصد ويشير ضمناً إلى رأي هيرش الذي " رأى أنّه لا بد من مواجهة الاندفاعية التأويلية التي تفسح التعددية واللاتحديد والتفكيك " (٤). ومن ثم يستشف من استحضار الشَّارح لرواية كشف المؤلف عن قصده الوصول إلى التأويل الصحيح ؛ لأنّ " كل تأويل صحيح مهما كان نوعه يقوم على التعرف على ما قصده المؤلف " (٥).

وانطلاقاً من مقولة آيزر عن المؤلف وتجاوبه " عموماً قلماً يُصرّحون بأي ملاحظات بصدد التأثير الذي مارسه عليهم نصوصهم بوصفهم قراء " (٦). قال الحديثي بشأن قول أبي نواس : (من المخلع البسيط)

إنّي لولا شقاء جدّي مامات موسى كذا سريعاً
ولا طوته المنون حتى أرى بني برمك جميعاً

(١) ديوانه، الحديثي : ٥٢٢

(٢) م . ن : ٥٢١ - ٥٢٢

(٣) المعنى الأدبي، وليم راي : ١٠٣-١٠٤

(٤) اشكالية القصديّة في الممارسة النقدية : ١٤

(٥) نظرية تأويل الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي، ط١، المركز الثقافي العربي،

٢٠٠٣ : ١٢٨

(٦) فعل القراءة و نظرية جمالية التجاوب (في الأدب)، فولفغانغ إيزر، ترجمة د. حميد لحمداني، د.الجلالي

الكديّة، منشورات مكتبة المناهل، فاس، ١٩٩٥ : ٢٢

سئل أبو نواس عن قوله كما في الرواية الآتية : " وتحدث أبو العيناء عن دعبل . قال : لقيتُ يوماً أبا نواس عند خشبة جعفر التي صُلبَ عليها، فقلتُ هؤلاء البرامكة كما اشتهيت في قولك : إنِّي لولا شقاء جدِّي ...، فقال : والله ما اشتهيتُ ذلك، وإن كنتُ فُلْتُهُ" (١). هذه الاستجابة من المؤلف القارئ هي تأويل ؛ لأنَّ التجاوب كشف عن معنى دفين لم تكشفها البنية السطحية للبيت الشعري، ولم تفصح عن المقصود لولا اسدال المؤلف الحجاب عن قوله ومكون قصده . وعلى الرغم من هذا التجاوب الصريح للمؤلف جعل الغزالي هذا النص " في هجاء البرامكة" (٢). مُغيباً بذلك تأويل صاحب النص نفسه، لكن قراءة الغزالي في الوقت نفسه تبرهن على " أن النص لا ينقطع عن الكلام كما يُقال" (٣). أي أنَّ وجود النص " يرتهن بقدرته على قبول التأويل لما كانت هناك مدعاة لقراءة القصائد كما قالت بربارا هرنشتاين (٤).

وفي سياق شرح البيت الآتي : (من المجزوء الكامل)

إِنَّ أَنْتَ لَمْ تَرْفَعْ بِهِ رَأْساً هُدَيْتَ فَنِصْفَ رَأْسِ

أحال القارئ الشَّارح - الحديثي - في هامش تحقيقه للنص السابق، على الخبر الآتي : " ويروون أن الرشيد أمر بحبس أبي نواس حتى يدع الخمر، فقال في الحبس، فقال له العتَّابي : ما أحسن نصف رأس خليفة تُرفع . فقال له : جعلني الله فداك يا أبا عمرو، لا تنبههم لهذا فتهلكني" (٥). وأورد محمد أنيس مهارات الخبر عينه لكن باختلاف طفيف هذا نصه : " لما بلغ العتَّابي هذا البيت قام ومشى إلى أبي نواس، ودخل عليه السَّجَن . فقال : فيم جئتني ؟ قال مسألة، كيف يُرفع لك نصف رأس الخليفة ؟ قُلْ لِي ! فَسُقِطَ في يد أبي نواس، وقال : جُعِلْتُ فداك أبا عمرو، تغافل ولا تُنَبِّههم لذلك، فإنَّ أكثر ما ترى بهائم لا يدرون" (٦). تعد السُّرُود الإخبارية المصاحبة للنصوص الشعرية نمطاً من أنماط الميثالغة ووسيلة من وسائل الشَّارح للإمساك بقصد المؤلف، وقد أضاءت المحادثة بين العتَّابي وبين أبي نواس ما يأتي :

-إنَّ القارئ المعاصر المثقف - العتَّابي - أدرك قصد المؤلف وهو قوله : " ما أحسن نصف رأس خليفة " .

-اعتراف المؤلف -أبي نواس- بمصادقية قراءة القارئ المعاصر .

(١) ديوانه، الحديثي : ٦٤٩ .

(٢) ديوانه، الغزالي : ٥١٩ .

(٣) قراءة التفسير والتأويل، د.ناصر حلاوي، مجلة الأستاذ، كلية التربية - ابن رشد، جامعة بغداد، ٦، ١٩٩٥ : ٢٣٠ .

(٤) ينظر أخلاق التأويل، بربارا هرنشتاين سميث، ترجمة هادي الطائي، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، ع ٣، ١٩٩٢ : ٣٥ .

(٥) ديوانه، الحديثي : ٩٤٧ .

(٦) ديوانه، محمد أنيس مهراث : ٤٣٣ .

- هذا المتن الخبري يضع الرأي القائل، إنَّ مفهوم القصد يرتبط بتاريخيته التي تحوله إلى نص مغلق كون القصائد مرتبطة بمناسبة معينة^(١). على مشرحة التحليل والتعديل ؛ لأنَّ ذلك لا يمنع من انفتاح النص على عددٍ من الدلالات.

- الرواية وإنَّ أثبتت قصداً للمؤلف لكنَّها لم تصرِّح به وبقي القصد مقتصرًا على أبي نواس والعتابي ، ويعزى ذلك إلى العقوبة التي ستطال الشاعر وهو الموت بدليل قوله " لا تنبههم لهذا فتهلكني " .

- الملاحظ أنَّ أغلب شارحي ديوان أبي نواس أهملوا هذه الرواية التاريخية الملحقة بالنص النَّوَاسِيّ ولم يعتنوا بقصد المؤلّف واقتصروا على تفسير بعض المفردات حسب .

-تَجَرَّدَ الخبر المنقول في شرح الحديثي ومهرات من التفسير والتأويل على الرغم مما فيه من انفتاح دلالي، ولاسيما قول أبي نواس " جعلت فداءك ... بهائم لا يدرون "، ومن ثم فإنَّ الإحالة اللسانية تختلف عن احالة المتكلم باختلاف مقاصد الأخير وانعكاس تلك المقاصد على المستمع^(٢).

٢- تعددية دلالات النص . يُعنى هذا النمط من التأويل بقراءة الشارحين انطلاقاً من كفاءاتهم اللغوية وطبيعة النصوص الشعرية لأبي نواس المتسمة بالغنى الدلالي والاكتمال الإشاري، وهو ما يفضي إلى فتح باب التأويل وتنوع المنظورات، وهكذا تنتشظى المعاني وتتسع النصوص بدلالات متباينة لتشكل طبقات جمالية للنص المقروء، ومن صور تعددية الدلالة عند شارحي ديوان أبي نواس قول الغزالي في سياق قراءته للنص الآتي : (من الكامل)

وَلَقَدْ دَخَلْتُ عَلَى الْكَوَاعِبِ حُسْرًا فَلَقَيْتَنِي بِتَبَسُّمٍ وَتَهَلُّلٍ
فَأَصَبْتُ مِنْ طَرْفِ الْحَدِيثِ لَذَاذَةً وَأَصْبَتْهَا مِنِّي وَلَمَّا أَجْهَلُ

استحضر الشارح الدلالات الآتية : " طَرْفِ الْحَدِيثِ : الحديث الشريف الذي يستطرف عند سماعه، أو يكون " طرف " راجع إلى الكواعب فيكون المعنى فأصبْتُ اللذة من ذوات الحديث المستطرف، أو تكون طرف مفرد أطراف التي يعنيها كُثِيرٌ عَزَّةٌ في قوله :

وَلَمَّا قُضِيَْنَا مِنْ مَنِي كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْحَدِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ " ^(٣).

(١) ينظر قراءة التفسير والتأويل : ٢٢٨-٢٤٣.

(٢) ينظر التداوليات علم استعمال اللغة، من بحث " مفهوم البراغماتية ونظرية المقام في المقولات المعرفية لدى علماء العربية "، منال النجار، ٤٧.

(٣) ديوانه، الغزالي : ١٢٨.

الرابط النسقي " أو " هيمن على البنية التركيبية في قراءة الغزالي، ووظيفة هذا الرابط المشاركة والتخيير أو الإباحة كما هو عند النحويين . ودلالة ذلك أن النص له أكثر من حمولة دلالية وقد ذكر القارئ هنا ثلاث قراءات هي :

- الحديث الشريف الذي يستطرف عند سماعه .

- الطرف راجع إلى الكواعب فيكون المعنى فأصبحت اللذة من ذوات الحديث المستطرف .

- تكون طرف مفرد أطراف التي يعينها كثير عزة .

إن كان هذا التعدد في الفهم يصيب مفهوم القصد ويطعن في شرعية البحث عنه فليس هناك تعارض بين مفهوم القصد وهو أحادي وتاريخي بطبعه ومفهوم التأويل المتعدد واللاتاريخي^(١). ومن أجل ذلك أرشد آيزر القراء إلى أنه من الخطأ القول إن العمل الكلي شامل وإن معناه ثابت ابداً^(٢). فالمسار التأويلي خاضع للنص بوصفه علامات لغوية وإلى فهم القارئ وامكاناته والسيئات المختلفة التي تحكمه . أما القراءات الثلاث التي قدمها الغزالي فتتضمن مرجعيات متنوعة، فالأولى يستشف منها السياق المقامي، والثانية انطلقت من اللغة بالارتكاز على الدال " كواعب" لتمتد إلى خارج النص . أما الأخيرة فكانت مرجعية تأويل القارئ هي أدبية ولغوية بألية التناص . إذ استحضر الغزالي نصاً شعرياً ليعضد قراءته التأويلية مستنداً إلى " طرف / أطراف " بوصفهما رابطاً بين النص الحاضر والنص الغائب . والملاحظ أن البقعة اللغوية التي انفجرت منها الدلالات التأويلية هي التركيب اللغوي - طرف الحديث- إذ مثل الفجوة التي تحفز القارئ إلى تنفيذ عمليات أساسية داخل النص^(٣). ويمكننا رصد الوجه الآخر لهذه التعددية الدلالية، ويتمثل ذلك بأن القراءات الثلاث كلها تلتقي في دلالة الطرافة بغض النظر عن مصدرها سواء أكان مصدر القول نفسه كما نرى في القراءة الأولى، أم كان القائل هو مصدر الطرافة كما في القراءتين الثانية والثالثة وإن تعدد القائل، إذ أتت الطرافة من الكواعب في حين أن العنصر الذكوري كان مصدراً للطرافة في القراءة التأويلية الثالثة.

ويبرز في شرح الحديثي ظاهرة تعددية القراءة للنص الشعري، لكن بإسلوب الجمع بين القراءات لشراح سابقين ومن نماذج ذلك، وهو بصدد البيت الآتي لأبي نواس : (من البسيط)

اسقنيها بسوادي قبل تغريد المنادي

(١) ينظر: قراءة التفسير والتأويل : ٢٢٩.

(٢) ينظر: المعنى الأدبي من الظاهرية إلى التفكيكية ، وليم راي، ترجمة د.يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون، بغداد، ط ١، ١٩٨٧: ٤٦.

(٣) ينظر: في نظرية التناقي - التفاعل بين النص والقارئ -، آيزر ، ترجمة د.الجيلالي الكدية، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، المغرب، ع ٧، ١٩٩٢ : ١٠.

قال الحديثي في الهامش : " اسقنيها ... بسوادي : لعلّ يريد بها الليل، أو لعل المراد : اسقنيها بأعزّ شيء عندي وهو حبة قلبي ؛ لأنّ السّواد حبة القلب . والمنادي : لعله يريد المؤذن أو أراد به صياح الديكة إيذاناً بالصباح "(١).

شكّلت " سوادي و المنادي " فجوتين لمتلقّي النص ومنهما ترشحت التعددية في القراءة التأويلية . فقد عاين الحديثي أنّ النص في الموضوعين المذكورين يحتملان صوراً من المعاني والدلالات، والمؤشر اللساني على تلك المعاينة والادراك هو الأداة " لعل " ووظيفتها المتمثلة بالشك والتوقع، ومن أجل ردم الفجوة ومدّ جسر التواصل تجلّت أربعة تحققات هي الآتي :

-الليل وحبة القلب بوصفهما قراءتين محتملتين للفراغ الأوّل المتجسّد في قوله " بسوادي " .
-المؤذن أو صياح الديكة هما تأويلان أو قراءتان محتملتان لطبقتين من الطبقات الدلالية للفراغ الثاني " المنادي " . هذه القراءات الترجيحية تعني أنّ " القراء لا يبنذون قراءاتهم ؛ لأنّها ليست بنى ثابتة ... والمرء لا يستطع أن يبنذ العالم المحتمل الذي أنشأه ؛ لأنّ ذلك العالم المحتمل ... لا يقدم بصفة التثبيت التي تسقطه من الحساب "(٢). وترى هذه الدراسة امكانية الجمع بين الدالتين الغائبتين لمنطقتي اللاتحديد - سوادي و المنادي - التي رجحهما الحديثي، وتتطلق قراءتنا الجديدة من القراءة التأويلية السابقة من أجل انتاج سيرورة تأويلية تتمثل بأن النص يمكن قراءته بالنحو الآتي، إنّ طلب سقي الخمر اتخذ من الليل اطاراً زمنياً ومن القلب اطاراً مكانياً، وكذلك فيما يخص المنادي فيرى البحث أن العامل المشترك بين المؤذن والديكة هو المقطع الزمني -وقت الصباح- وجودة الصوت ومستواه و العلامة النصية الموطدة لجمال الصوت هو قوله " تغريد" في قوله " قبل تغريد المنادي " .
وفي نطاق التعددية الدلالية نسوق القراءة الآتية لإيفالد فاغنز بخصوص نص أبي

نواس :

فَتَرَى الشَّرْبَ كَالْأَهْلَةِ فِيهَا يَتَحَسَّرُونَ خُسْرَوِيَّ لَأُمْدَامِ
وَلَهُمْ مِنْ جَنَاهُ آذْرِيُونَ وَضَعُوهُ مَوَاضِعَ الْأَقْلَامِ

قال الشّارح : " مِنْ جَنَى يَوْمِ رَامٍ يَعْنِي مِنْ جَنَى هَذَا الْيَوْمِ وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ فِي جَنَاهُ لِلنَّوْرِ أَوْ الرَّوْضِ ، وَهَذَا التَّأْوِيلُ أَوْضَحُ إِلَّا أَنَّكَ إِذَا جَعَلْتَ الضَّمِيرَ فِيهِ لِلْيَوْمِ كَانَ ذَلِكَ أَدَلَّ عَلَى نِضَارَةِ الْمَجْنِيِّ وَطَرَاوَتِهِ "(٣). إن عملية الفهم عند فاغنز كانت مركبة من مرحلتين:

(١) ديوانه، الحديثي : ١٢٨.

(٢) المعنى الأدبي : ١٥٥ - ١٥٦.

(٣) ديوانه، ايفالد فاغنز : ٣ / ٢٧١.

الأولى - تفسيرية، ولا أدل على مصداق قبول النص النواسي للتفسير من قول فاغندر: " من جنى يوم رام يعني من جنى هذا اليوم " وهذا التفسير قدّمه الشّارح قبل القراءتين التأويليتين.

- الثانية التأويل المرجح، اتسم تأويل فاغندر بسمّة الترجيح المتمظهر بنويماً بصيغة اسم التفضيل - أوضح، أدل - والترجيحات في القراءات تدل على :

١- عدم التأكيد أو الوثوق من قصد الشّاعر، وفي أحسن الأحوال عدم الاقتناع به .

٢- إنّ التّأرجح يعني جواز القراءتين أو القراءات، وإنّ كانت أحدها تجمل قصد الشّاعر .

٣- إنّ النص يقبل التفسير والتأويل معاً^(١). انتج فاغندر في تأويله للنص قراءتين :

- " يجوز أن يكون الضمير في جناه للنور أو الرّوض وهذا تأويل أوضح " .

- " إلا أنّك إذا جعلت الضمير فيه لليوم كان ذلك أدل على نضارة المجني وطراوته " .

استندت قراءة التعدد هنا إلى المرجعية الخارجية للضمير - الهاء في جناه- أي أن تجسيديات الفراغ هي خارجية وموجودة في العالم الواقعي ؛ لأنّ النور والرّوض هي أشياء موجودة في العالم المادي المحسوس، وهذا التأويل بوصفه انعكاساً لأفق توقع القارئ ومعارفه لا يؤمن بالنسق المغلق للغة، وإنما يرى أنّ اللغة تتفتح على سياقات كبرى .

(١) ينظر: قراءة التفسير والتأويل : ٢٣٠.

نتائج البحث

يمكن اجمال نتائج هذه الدراسة بما يأتي :

- ١- القراءة المعجمية للشارحين لا تحيل في شرح معاني الكلمات وتفسيرها إلى المعجمات اللغوية الشهيرة .
- ٢- ندرة الاستشهاد بالآيات القرآنية في بيان معاني الدوال، ولاسيما عند الغزالي .
- ٣- خلو شرح عليّ العسيلي من القراءة النحوية أو التركيبية .
- ٤- كلمة الشرح دلالتها فضاضة ؛ لأنها تشمل تفسير معاني الكلمات الغامضة والوقوف عند المظاهر البيانية وبيان التشكيلات النحوية وأوجه اعرابها وتسليط الضوء على الأحداث التاريخية والمواقع الجغرافية وثنائية البداوة والحضارة وذكر الفلك والنجوم وكل ما يتصل بالثقافات .
- ٥- كشفت الشروح اسلوبيات القارئ بوساطة استجاباته للنصوص الشعرية .
- ٦- عكست اللغة الشارحة لديوان أبي نواس تمثلات صور القارئ في النظريات النقدية المعاصرة، ولا سيما القارئ الضمني والقارئ المعاصر عند آيزر، والقارئ الأعلى عند ريفاتير، والقارئ الاجتماعي عند ستانلي فيش .
- ٧- هيمنت استراتيجيات بلوغ قصد المؤلف على قراءات الشارحين إلى جانب النشاط الهرمنيوطقي .
- ٨- لم تخلُ شروح ديوان أبي نواس من استسلام الشارحين لقراءات سابقة بألية الاجترار، وبعد ذلك مؤشراً سلبياً في ممارستهم النقدية، علماً أنّ تلك النصوص الشعرية تمتلك من الأغواء والاعراء مساحات واسعة لكنهم تخلفوا عن التنقيب والنبش ليفضي ذلك إلى تقهقر سلطة القارئ أمام سلطة المؤلف .
- ٩- أسفرت إجراءات الشارحين للديوان ميلهم إلى التعددية الدلالية والإيمان بوجود ضوابط للتأويل أكثر من اعتقادهم بمبدأ لا نهائية الدلالة .

ثبت المصادر

- ❖ أخلاق التأويل، بربارا هرنشتاين سميث، ترجمة: هادي الطائي، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، ع ٣، ١٩٩٠.
- ❖ اشكالية القصديّة في الممارسة النقدية، بوزيد صابرية، رسالة ماجستير، كلية الاداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية، جامعة وهران، بإشراف أ.د. هوارى بلقاسم، السنة الجامعية ٢٠٠٨-٢٠٠٩ .
- ❖ التّداوليات علم استعمال اللغة، اعداد وتقديم د. حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إريد- الأردن، ٢٠١١ .
- ❖ ديوان أبي نواس، الأستاذ عليّ فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ❖ ديوان أبي نواس، تحقيق غريغور شولر و إيفالد فاغنر، دار المدى، ط ١، جمعية المستشرقين الألمانية، سورية - دمشق .
- ❖ ديوان أبي نواس، شرح وتحقيق محمد انيس مهرات، دار مهارات للعلوم و حمص - سورية و ط ١، ٢٠٠٩ .
- ❖ ديوان أبي نواس، شرحه عليّ العسيلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان، ط ٢، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .
- ❖ ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ، أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان .
- ❖ شروح ديوان المتنبي دراسة نقدية في ضوء نظرية القراءة، رسالة ماجستير، توفيق بن أحمد القاهري، كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، إشراف إ.د ناصر رشيد حلاوي، ١٩٩٩-١٤٢٠ .
- ❖ فصول في فقه اللغة العربية، د.رمضان عبدالنواب، مكتبة الخلنجي، القاهرة، ط ٣، ١٩٨٧ .
- ❖ فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب (في الأدب)، فولغانغ إيزر، ترجمة: د. حميد لحمداني، د.الجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، فاس، ١٩٩٥ .
- ❖ في نظرية التلقي - التفاعل بين النص والقارئ -، آيزر ، ترجمة: د.الجلالي الكدية، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، المغرب، ع ٧، ١٩٩٢ .
- ❖ قراءة التفسير والتأويل، د.ناصر حلاوي، مجلة الأستاذ، كلية التربية - ابن رشد و جامعة بغداد، ٦، ١٩٩٥ .
- ❖ معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر بيروت، ١٣٧٩هـ - ١٩٧٧م .

- ❖ المعنى الأدبي من الظاهرية إلى التفكيكية ، وليم راي، ترجمة د.يوئيل يوسف عزيز، دار المأمون، بغداد، ط ١، ١٩٨٧ .
- ❖ مفهوم النص، نصر حامد أبوزيد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠ .
- ❖ النص الأدبي تحليله وبناءؤه مدخل اجرائي، د.إبراهيم خليل، الجامعة الأردنية، كلية الآداب، ط١، ١٩٩٥ .
- ❖ النظرية الأدبية المعاصرة، رمان سلدن، ترجمة: سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٩٥ .
- ❖ نظرية تأويل الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة: سعيد الغانمي، ط١، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٣ .